إيران دولة هشة ومشكلة الشرق الأوسط التعويل على الغرب.. بن نهار أستاذ العلوم السياسية يفتح قلبه لـ «الشرق»:

إقصاء الخمسة الكبار من معادلة «الأمن الدولي الحل الأمثل لتحقيق السلام»

أجرى الحوار: محمد زهران-ياسين حسن

قطع تذكرة حوار مع د.نايف بن نهار، أشبه بقطع تذكرة سفر لاتجاهين مختلفين، فمن ناحية ثمة اندفاع وحماسة الشباب، ومن جهة أخرى ثمة الخبرة والتريث والعقلانية، رغم عدم بلوغه الثلاثين من عمره بعد.

بن نهار أول منظر سياسي قطري صاحب نظرية الذراع الرادعة، ورئيس مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث وأستاذ العلوم الإسلامية بكلية الشريعة في جامعة قطر، اصطلح على وصفه بأصغر من ألقى بحجر المبادرة في بركة الفكر العربي السياسي ليثير أمواجه الراكدة.

من مؤلفاته (الصيرفة الإسلامية، مقدمة في علم المنطق، الديمقراطية كما هي، علم النحو، مقدمة في أصول الفقه)، والقائمة تطول على خريج بكالوريوس الشريعة والحاصل على درجة الماجستير بالدراسات الإسلامية والدكتوراه في الصيرفة الإسلامية عن دولة قطر.

أيضًا الدكتور نايف هو أول أكاديمي قطري يطرح نظرية في مجال العلاقات الدولية بعنوان "الذراع الرادعة"، والتي سجلت ملكيتها باسمه في السابع من فبراير الماضي، بوزارة الاقتصاد والتجارة.

باختصار شديد، استبدل بن نهار نظرية الذراع الرادعة بنظريتي "السلام الديمقراطي" و "الحكومة العالمية".

وينطلق في بناء نظريته من فكرة أقرها الفلاسفة السياسيون ولا تنكرها العلوم العسكرية الحديثة، وتفيد هذه المقدمة أن وجود الحرب يبتدئ من اللحظة التي يختل فيها ميزان القوة، ففور امتلاك إحدى الكيانات السياسية قوة أكبر من نظرائها فإن العد التنازلي للحرب يبدأ.

ومن هذا المنطلق فإن لحظة الحرب هي لحظة غياب توازن القوة، وبالقياس تكون لحظة السلام هي لحظة التوازن.

ويحصر الدكتور نايف خيارات تحقيق توازن القوى في أربع.

الأول أن تحصل حالة توازن شمولية وتمتلك كل الدول نفس الأسلحة، وهذا الخيار لا يمكن تحقيقه بسبب ارتفاع كلفته الاقتصادية، فليست كل الدول لديها القدرة المالية لمجاراة الخصوم في سباق التسلح. والثاني، أن تتخلى دول العالم عن ترساناتها العسكرية إلى حد يصل فيه الجميع لتبادل الرعب، وهذا الخيار يكاد يكون مستحيلًا من حيث الوقت والمجهود؛ لأن مساحة تطبيق هذا القرار تشمل العالم كله.

أما الثالث، أن تحصل حالة توازن القوة بين القوى الكبرى فقط، ثم ينعكس هذا التوازن على الدول التابعة لتلك القوى.

وهذا الخيار غير واقعي، وحقبة الحرب الباردة تشهد على ذلك، فهل عاش العالم وقتئذ بسلام؟!.

والرابع، أن يتم تجريد القوى الكبرى من السلاح النووي الذي يعد النقطة النهائية في عمليات توازن القوة، وتكون ملكيته حكرا لمجلس الأمن، وهذا هو الحل الأنسب والأوقع –على حد زعمه–.

وسط برودة أجهزة تكييف المكتب كان حوارنا المشتعل مع د.نايف، وللأمانة وجدناه كرأس جبل الجليد يظهر عُشره ويخفي تسعة أعشاره تحت الماء.

وإليكم ما وجدناه خلال السطور القادمة، فإلى نص الحوار...

د.نايف بن نهار

السعودية ضعيفة صناعيًا ويجب الالتفات للذهب واليورانيوم واستبدال مصادر الدخل

سحب أسلحة الردع من الأطراف المتنازعة وإيداعها بالأمم المتحدة المخرج الوحيد للصراع بسوريا

◁ دعنا نبدأ مع نظريتك "الذراع الرادعة" التي ذكرت فيها أن قوى أسلحة العالم يجب أن تكون حكرًا بيد الأمم المتحدة فقط دون سواها حتى تتوازن القوى ويحل السلام الدولي.. ألا ترى أن النظرية قد تعرض العالم لخطر أعظم وهو تجريد الشعوب من السلاح مما قد يؤدي إلى استيلاء إحدى القوى العظمى على زمام القرار في الأمم المتحدة وهذا ما قد يخلق آلة قتل عسكرية تجوب العالم منفردة.. في هذه الحالة ما الضمانة حتى نسلم من ذلك السيناريو؟

▶ أولا من شروط أعمال النظرية هو (إعادة هيكلة) مجلس الأمن من جديد بعيدًا عن وجود الدول الخمس الكبرى (روسيا- الصين – الولايات المتحدة الأمريكية – بريطانيا – فرنسا)، فهؤلاء الخمس أثبتوا فشلهم الذريع على مدار العقود الماضية في إرساء السلام الدولي والنتائج دائرة الآن على الساحة الدولية، كنتيجة للسياسة الخاطئة التي انتهجتها تلك الدول.

نجد أيضًا الآن قوى عظمى جديدة تطفو على السطح مثل دول النمو الآسيوي. على رأسها اليابان، بجانبها البرازيل، وألمانيا، وجنوب إفريقيا، كل تلك الدول لا تمتلك مقعدا في مجلس الأمن وهذا ما سيجعل إعادة الهيكلة ملحة.بل حتمية.

◁ وماذا لو عادت الولايات المتحدة أو روسيا أو أي من الدول الكبرى من البوابة الخلفية لتسيطر مرة أخرى على الأمم المتحدة المكان الوحيد حسب نظريتك الذي يمتلك السلاح الرادع في العالم؟

▶ لا يمكن أن تسيطر أمريكا أو أي من الدول الكبرى بحسب النظرية على الأمم المتحدة وهي مجردة من آليات السيطرة.

◁ وماذا تقصد بآليات السيطرة؟

▶ أن تكون عضوًا دائمًا بمجلس الأمن.

◁ إذًا أنت تدعو بشكل صريح لإقصاء الدول الخمس الكبرى من المشهد الأممي؟

▶ بنبرة حازمة- نعم وبكل تأكيد، يجب إقصاء الدول الخمس من مجلس الأمن، ليصبح النظام فيه كنظام الأمم المتحدة، المعتمد على أصوات الأغلبية واعتبار كل الأصوات متساوية بغض النظر عن حجم وموقع الدولة في سلم ترتيب القوى العالمية. بالإضافة لعدم التمييز بينهم على أساس العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين.

جدير بالذكر أن المادة 25 من ميثاق الأمم المتحدة تنص على: "تعهد كل أعضاء الأمم المتحدة بقبول قرارات مجلس الأمن وتنفيذها"، ويمكن لقرارات مجلس الأمن أن تكون ملزمة لجميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، حتى لو عارضوا قرارات المجلس.

أي أن العالم كله خاضع لكلمة الخمس الكبار حتى وإن عارضت مصالح الدول الأخرى.

وهذا ما يفشل نظريتي "الذراع الرادعة" التي تضع توازن القوى بين الدول شرط أساسي لإرساء السلم العالمي.

◁ أنت تعلم أن أغلب حروب العالم متمركزة عندنا في الشرق الأوسط.. ومن هنا نطرح التساؤل، كيف يمكن أن نطبق نظرية الذراع الرادعة لحل الأزمة في اليمن وسوريا وليبيا.. أي خطوط النار المشتعلة بالمنطقة؟

▶ الحل هو أن يتم سحب جميع أسلحة الردع من الأطراف المتصارعة بمناطق النزاع، وبالقياس على الموقف السوري فيجب سحب تلك الأسلحة من جميع الأطراف الدولية والمحلية.

ومن ثم يتم إيداعها بالأمم المتحدة ليتم التصويت حينها بالأغلبية، فمن قوى الشر، التي تحددها الدول الأعضاء، ومن ثم يبدأ التنفيذ بشكل أممي جماعي.

◁ أنا أعلم أنك لا تنتمي للمدرسة المثالية الفكرية وكثيرًا ما تعارض أفكارها في كتاباتك.. ولكن الا تظن أنك سقط هذه المرة في المثالية لحل الصراع في مناطق النزاع؟

▶ قُل لي حل آخر!. إذا تأملنا الخيارات الدولية الموجودة لإرساء السلم العالمي لن نجد أسلم من هذا الخيار.

كل الحلول المطروحة محالة، وهذا الحل أخف الأضرار، فهل هناك خيار أسهل من خيار الذراع الرادعة؟!

◁ بالانتقال إلى مستقبل الشرق الأوسط وبلغة جيو سياسية.. كيف ترى مستقبل المنطقة خصوصًا في ظل إتمام اتفاقية سايكس بيكو لقرنها الأول؟

▶ جميع الدول المتصارعة على الشرق الأوسط متضررة بما فيها الدول الأوروبية، وروسيا، وكذلك الحال مع دول الخليج إذا ما تحدثنا عن الاستنزاف المالي، أيضًا إيران من حيث الاستنزاف العسكري والمالي والبشري بشكل مباشر، ومن وجهة نظري فإن جميع الدول التي لها مصالح بالشرق الأوسط متضررة باستثناء إسرائيل فهي المستفيد الوحيد مما يحدث.

وإذا نظرنا للوضع الإسرائيلي فهو بمنأى عن حوادث الإرهاب العالمية ويبدو أنها خارج جدول أعمال تنظيم الدولة الإسلامية، والأقل تضررًا من نزاعات بلاد الشام واليمن وليبيا، فإسرائيل هي الفائز الأوحد بكل المقاييس مما هو دائر على الأرض.

◁ بدأت الآن أصوات الأقليات ودعوات الانفصال تتبلور بشكل أوضح من أي وقت مضى.. إليك مثلا الأكراد على الجبهة (السورية والعراقية والتركية)، بالإضافة لمحاولة تحطيم تركيا كقوة إقليمية كبرى.. في ظل تلك المعطيات كيف ترى مستقبل المنطقة؟

▶ مشكلة الشرق الأوسط بالنسبة للنزاعات الداخلية أنه عول بإفراط على الغرب لإصلاح الوضع الداخلي.. وكما نرى أن الغرب معاييره مزدوجة فمن ناحية عندما يقتل نصف مليون مدني في سوريا يكتفي العالم بعقد اجتماعات لا قيمة لها تفضي إلى إبقاء الوضع على ما هو عليه.

ولكن عندما اقتربت قوات الثوار من قريتين مسيحيتين جن جنون أوروبا وكأن الإنسان عندهم أصناف، صنف يستحق الحياة وآخر لا داعي لوجوده على وجه الأرض، وتلك المعايير لا يمكن أن نعول عليها لإصلاح الوضع الداخلي في بلاد المشرق العربي، بالتحديد الأزمة السورية واليمنية.

وبناءً عليه فمستقبل الشرق الأوسط يعتريه الكثيف من الضباب والأيام القادمة لا تدفع للتفاؤل، طالما نعتمد بشكل أعمى على الدول الغربية.

◁ وماذا عن مستقبل المنظومة الخليجية في الشرق الأوسط؟

▶ المنظومة الخليجية تفتقر إلى المقومات القيادة الإقليمية من منطلق تكتل خليجي متماسك.. لأننا نملك ست دول.. لكل دولة تعريف مختلف بشأن الأمن القومي والعمق الإستراتيجي.

فلكل دولة بمجلس التعاون عمق إستراتيجي خارج إطار منطقة الخليج الجغرافية وهذا يعري المنظومة الخليجية من أي عنصر قوة يدفعها لانتشال المنطقة مما هي فيه ويهدد كل أعضاء مجلس التعاون بأن يكون لقمة سهلة للتهديدات التي تحدق بالمنطقة.

المملكة لن تنهار اقتصاديًا.. والتهديد الإيراني كلام فارغ!

لا وجود للعضوية الدائمة بمجلس الأمن حسب نظريتي «الذراع الرادعة»

لكل دولة بالخليج تعريف مختلف للأمن القومي والعمق الإستراتيجي

لا سلام من دون إعادة هيكلة مجلس الأمن.. ونظام الجمعية العامة البديل الأفضل

إسرائيل المنتصر الوحيد من حروب الشرق الأوسط

◁ أنت تعلم أن المملكة هي الركيزة الأساسية في المنطقة وإن كنت متابعا للصحافة الأمريكية فالأخيرة بدأت تطلق دعاوى بشكل غير مسبوق وصريح عن قرب تفكك المملكة بسبب دخولها الحرب السورية واليمنية. كل هذا في ظل تهاوي الاقتصاد السعودي بفعل الأزمة النفطية، والملف الإيراني الذي ما فتئ يثقل الحقائب الدبلوماسية للرياض. أربعة عوامل ثقيلة تقصم ظهر أي دولة مهما بلغت قوتها فكيف ترى مستقبل القوة العربية الوحيدة بالوطن العربي؟

▶ الأمور الأربعة التي ذكرتها ليست ذات خطورة حقيقية كما تتصور فالنزاع في اليمن لا يشكل على السعودية أي عبء اقتصادي لأن الأمر تحت السيطرة كذلك هو الحال بالنسبة لسوريا.

أما بالنسبة للإيرانيين فدعهم يتكلمون كما يشاءون فالتهديد الإيراني حبر على ورق و"كلام فارغ"، ولن يتحول لواقع أبدًا. ففي كل مرة تتعالى الأصوات الإيرانية وتحتدم التهديدات وفي النهاية لا يحدث شيء.

والدليل على ما أقول عندما أرسلت إيران سفنها لمساندة الحوثيين، حينها أخذت السعودية وقتشت تلك السفن ولم يحدث شيء، رغم التهديدات الإيرانية بمهاجمة السعودية حال اعتراض مساعدتها للحوثيين. بالفعل إيران دولة هشة جدًا متآكلة من الداخل، لا تعليم.لا صحة.لا حريات، الشعب هناك طفح به الكيل وأنا شخصيًا توجهت لإيران مرتين وأنقل لك ما رأيت. أما بخصوص الاقتصاد السعودي فلديه مخزون كبير جدًا من النفط والأمر تحت السيطرة، كما أن السعودية بإمكانها تقليل إنتاجها وسيرتفع النفط مرة أخرى ومن ثم تعود الأمور لوضعها الطبيعي، وهذا هو حال الأسواق النفطية على مدار التاريخ.

◁ ولكن الوضع اختلف الآن بالنسبة للنفط ومن الواضح أن عصر الذهب الأسود انتهى ففي مؤتمر المناخ الذي عقد بباريس 2015 وقعت أغلبية الدول على استخدام الطاقة النظيفة المتجددة خلفًا للنفط الذي أصبح لا وجود له في خطط الدول الكبرى مستقبلًا؟

▶ هذا الكلام مكرر ولا غنى للدول الكبرى عن النفط.

◁ إذا هل ننتظر نضوب السلعة النفطية ومن ثم نفكر في استبدال مصادر الدخل.. فالسعودية ضعيفة على المستوى الصناعي ولا تملك سوى النفط حتى أنها لا تصنعه بشكل كامل؟!

▶ اتفق معكم أن السعودية ما زالت ضعيفة صناعيًا ومتخلفة عن الركب العالمي وكذلك الحال مع باقي الدول الخليجية.

لكن النفط سيبقى سنوات طويلة والمملكة تمتلك غير النفط من مصادر ثروة أخرى كبيرة جدًا.

◁ مثل ماذا؟

▶ فقط إذا اتجهت السعودية لمجال الذهب واليورانيوم واللذان تمتلك منهما مخزونًا كبيرًا في الجبال السعودية، بالإضافة إلى الحج الذي يدر المليارات سنويًا، أضف إليها الاستثمارات الخارجية. كل تلك المصادر تدفعنا إلا نخشى على السعودية بخصوص الجانب المالي، ولكن يجب أن تكثف المملكة جهودها لاستحداث بدائل للنفط.

د.نايف بن نهار في حواره لـ«الشرق»